



خطبة صلاة الجمعة 19/9/2014 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

### (أخطاء شائعة (26) - الانشغال بأجهزة الاتصال عن العلاقات الأسرية)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيّه وخليله، خيرٌ نبيّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 286].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ وَلَا يُلْهِمْ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 135]

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً، نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ، فَإِذَا هُوَ تَرَعَّ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ، زِيدَ فِيهَا، حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ، وَهُوَ الرَّأُّ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: 14]» [الترمذي].

هذه هي الخطبة السادسة والعشرون في سلسلة: (أخطاء شائعة).

هدفُ السلسلة السعي لتصحيح ما استطعنا من هذه الأخطاء، فإن الله تعالى لا يهلك قرية أهلها متناصحون مصلحون ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَرْيَ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117].

تتناول السلسلة خطأً في العلاقات الأسرية مرةً، وشعارها: (أسرتي سكاني ومسؤوليتي)، وخطأً في معاملاتنا المالية مرةً أخرى، وشعارها: (أسواقنا مرآة ديننا).

وخطبة اليوم من النوع الأول، وعنوانها: (الانشغال بأجهزة الاتصال عن العلاقات الأسرية)

أيها الإخوة:

إم بي ثري، وإم بي فور، وبلايستيشن، وآي باد، وآي ماك، وآي فون، ونظام الأندرويد، ونظام ios، وأجهزة الغلاكسي، وأجهزة السوني إكسبريا..

وصفحات الفيس بوك، والتويتر، واليوتيوب، والجوجل بلس، وتطبيق الواتس آب، والفايبر، والسكاي بي، وشات أون... وغيرها.

كلُّها وسائلُ اتصالٍ حديثةٍ مع عالم قريب أو بعيد، فيها من المنافع ما لا يُنكر، وفيها من المضار ما يُذكر وما لا يُذكر، وكسائر الأدوات والمواد والأشياء المتوقَّع أن تخضع لسيطرة الإنسان العاقل؛ فيأخذَ سمينها ويدعَ غنَّها، ولكنَّ إن صار الإنسانُ العاقل خاضعاً لها قادته كما تقاد العجماءات.

إن من فوائد هذه الوسائل أنها تنمِّي مداركَ الأطفال والشباب، وتسهِّل الحصول على المعلومات، وتطلِّعنا على آخر الأبحاث والمؤتمرات والمستجدات في العلوم والأعمال والأحداث، وتسهِّل التواصل مع المسافرين من الأهل والأصدقاء، وتساعدُ دعاةَ الخير في نشر الدعوة، وتُطلِّع الإنسانَ على جغرافية الأرض وعظمة الله تعالى في خلقه..

وكل هذا محمودٌ مطلوبٌ، ولكنَّ هذه الوسائلَ عيْنها تتحوَّل إلى داءٍ عضالٍ ومرضٍ مزمنٍ، إن لم يحسنِ المرءُ استخدامها أو إن أصبحَ مدمناً عليها، يَأْتُرُ بأمْرِها وينتهي بنهيها، بدلَ أن يُخَضِّعَهَا لأمْرِه ونهيهِ، كما علَّمه الله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: 29].

فكل ما في الأرض مخلوقٌ لك وأنت مخلوقٌ لله، كل ما في الأرض لخدمتك، وأنت لخدمة مولاك.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: 20]

فكل ما في السموات والأرض مسخَّرٌ لك، فكُنْ أنت سيده، ولا تجعلَ لك سيداً إلا الله.

لقد ذكر الباحثون لوسائل الاتصال الحديثة -إن لم يُحسّن المرء استخدامها- أضراراً صحيّةً، وأخرى نفسيةً، وثالثةً اجتماعيةً وأسريةً، ورابعةً اقتصاديةً، وخامسةً فكريةً معرفيةً، وسادسةً عقديّةً إيمانيةً، وسابعةً أخلاقيةً وسلوكيةً.

فأضرارُ الإجهاد البصري وإصابات العمود الفقري بسبب الجلوس الطويل أمام هذه الوسائل مع قلة الحركة، ومخاطرُ إشعاعات الهواتف المحمولة باتت معلومةً للجميع، وهي من جملة الأضرار الصحية.

وحبُّ الانطواء والوحدة والانعزال للخلوة مع هذه الوسائل، والتوتر والقلق المستمران الناجمان عن التفكير الدائم بهذه الوسائل حتى حين البعد عنها، والتأثير السلبي لمشاهد العنف والرذيلة، كلها أضرارٌ نفسيةٌ باتت تدفع المصابين بها إلى عيادات الطب النفسي والعلاج السلوكي.

وقلّ مثل هذا في المضار الاقتصادية: إذ تصرفُ بعضُ هذه الوسائل عدداً من الشباب عن أعمالهم، وربما أسهرت آخرين فناموا عن واجباتهم، هذا بالإضافة إلى ما يُصاب به مدمئها من حمى الاستهلاك لشراء كل جديدٍ من الأجهزة، والاشتراك في كل تطبيق من التطبيقات، وبذل المال الوفير لدفع الفواتير الشهرية المترتبة عليه.

هذه المضار وغيرها موجودةٌ في هذه الوسائل إن لم يُحسّن المرء استخدامها، غير أني في خطبة اليوم أحبُّ أن أسلّط الضوء ملياً على آثارها السلبية على بعض علاقاتنا الأسرية.

لعلّ عدداً منكم -أيها الإخوة- يذكر أنني مرةً من على هذا المنبر خطبتُ سلسلةً حُطِبَ مؤلفَةٌ من عشرين خطبة عنوانها (الأسرة والتربية) عنوانُ الخطبة الخاتمة: ما المطلوب منك بعد هذه السلسلة؟

كان المطلوبُ يومها ثلاثَ ساعات: ساعةً يوميةً، وساعةً أسبوعيةً، وساعةً شهريةً.

ساعةً يوميةً على أقل تقدير تقضيها مع زوجك وأولادك، تقضيها مع أمك وأبيك، وأختك وأخيك.

وساعةً أسبوعيةً تصطحبُ فيها أسرَتَكَ إلى مجلسِ علمٍ في مسجدٍ من مساجد البلد.

وساعةً شهريةً تجلسُ فيها أسرَتَكَ الصغيرةً مع أسرَتِكَ الكبيرة، مع الأعمام والعمات والأخوال والخالات.

إنَّ جلوسَ أفراد الأسرة مع بعضهم في كل يوم بعيداً عن التواصل مع غيرهم له أثر كبيرٌ في تربية الشباب وترابط الأجيال وسلامة الخلق والدين وصحة النفس والجسد، وإنَّ انصراف كلِّ واحدٍ من أفراد الأسرة إلى جهازه الخاص؛ ليتصلَ مع هذا، أو ليطلَّعَ على ذاك، له الأثر السلبيُّ على جميع أفراد الأسرة.

سُجِّنَ أحدُ المفكرين عشرَ سنواتٍ، فلما أطلقوه قالوا له: ما أصعبُ ما رأيتَ في السجن؟ قال: فقدي لتربية أولادي والجلوس معهم!.

اتصلتُ زوجةً لتقول: إنَّ زوجي طيلة وجوده في المنزل ينصرف لحاسبه الخاص متابعاً شبكات التواصل مع أصحابه وأصدقائه الإلكترونيين تاركاً زوجته وأولاده وراء ظهره!.

وذكر زوجٌ أنَّ زوجته تنسلُّ من سريرها ليلاً لتفتح الواتس آب وتتابع مجموعات مع صديقاتها، ومراراً ما تركتُ أعمالها المنزلية؛ لانشغالها بمجموعات الافتراضية!.

لقد باتَ الدارسون اليوم يتحدثون عن (الطلاق النفسي أو العاطفي) يعنون به أنَّ زوجين اثنين يعيشان تحت سقفٍ واحد لكنهما لا يشتركان في شيءٍ من الآلام والآمال، أو العواطف والرغبات؛ لأنَّ كلاهما مشغولٌ عن صاحبه بغيره.

ويتحدثون عن (أرامل وسائل الاتصال) يعنون بهنَّ الزوجات اللاتي يعانين من سقوط أزواجهنَّ في برائن المواقع الإباحية. أو الأزواج الذين يعانون من سقوط زوجاتهم في مستنقع هذه الوسائل!.

سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها: ما كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يصنع في أهله؟ فقالت: (كان في مهنة أهله) [البخاري] وفي رواية: (كَانَ يَحِيْطُ ثَوْبُهُ، وَيَخْصِفُ تَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرَّجَالُ فِي بَيُوتِهِمْ) [مسند الإمام أحمد]

ويكون جالساً صلى الله عليه وسلم في البيت فيدعو الحسن والحسين؛ ليضمَّهما ويقبلهما، ويستمع ملياً لحديث السيدة عائشة رضي الله عنها الطويل في أخبار إحدى عشرة امرأة، تعاقدنَّ وتعاهدنَّ أن لا يكتُمن من أخبار أزواجهن شيئاً، كما في البخاري ومسلم.

والتربية التي أمرنا الله تعالى بها في القرآن لأسرنا وأبنائنا محتاجة للجلوس إليهم، والانشغال بهم عن غيرهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]

قال سيدنا علي رضي الله عنه: علّموا أنفسكم وأهليكم الخير.

وقال مقاتل: هي أن يؤدب المسلم نفسه وأهله، فيأمرهم بالخير، وينهاهم عن الشر.

### أبها الإخوة:

إنّ الانشغال بأجهزة الاتصال عن العلاقات الأسرية خطأ، وللترفع عن هذا الخطأ، ولكسب فوائد وسائل الاتصال واجتناب مضارّها أنصحك بخمس نصائح:

1- حدّد وقتاً معيناً في كل يوم تجتمع فيه مع أسرّتك في البيت، وتغلقون جميعاً كلّ أجهزة الاتصال مع الآخرين.

2- حدّد يوماً معيناً تخرج فيه مع أفراد أسرّتك في زيارة لأقارب أو أرحام أو أصدقاء، أو لحضور مجلس علم.

3- حدّد وقتاً معيناً لدخول أفراد الأسرة إلى النت، أو مواقع التواصل، أو الألعاب الالكترونية، ويمكنك إيقاف الراوتر بعدها.

4- تدرب على إغلاق هاتفك المحمول إذا دخلت المسجد، أو مدرجات الجامعة، أو جلست مع إنسان تحدّثه، أو حلّت هدأة الليل. وعلى أقل تقدير اجعله صامتاً.

5- راقب الله تعالى إذا مررت بما لا يرضيه، وتذكر قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: 14]

نسأل الله تعالى أن يعيننا على تصحيح أقوالنا وأفعالنا حتى يُعجّل لنا بالفرج.

والحمد لله رب العالمين